توطئة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد:

فالناظر في الكتاب والسنة وما استنبطه أئمة الهدى منهما، يدرك – وهو يتبصر بما ورد في شأن أعداء الله، وإعطاء الأحكام والقواعد التي يجب أن تضبط العلاقة بين المسلمين وغيرهم – أن الإسلام لا يريد لأتباعه وهم يبنون الحياة على منهج سويٍّ يشمل الميادين كلها، ويشيدون صروح الحضارة المثلى بنظرات تتجاوز الحاضر إلى ما وراءه.. لا يريد لهم أن تكون أحكامهم مرتجلةً يعوزها الوعي والتبصُّر، أو قائمةً على ردود الأفعال والتأثر الآني الذي يكون الإنسان فيه منفعلاً وكفى، لا فعَّالاً مؤثراً في التخطيط والتنفيذ.

بل يريد لهم أن تأتي الأحكام نتيجة دراسةٍ وتمحيص، ومعرفة صحيحة بالواقع وبطبيعة الأرض التي يتحركون عليها والمناخ الذي يعملون فيه، ذاكرين أنهم – بحمد الله – أصحاب رسالة هادية يريدون أداءها. وأن يصحب ذلك تقويم بميزان الحق الذي نزل به الكتاب، وأوضحت أبعاده وفصَّلت مجمله السنة المطهرة، وإدراكٌ لترتيب النتائج على المقدمات والمسبَّبات على الأسباب، كما هي سنة الله فيما خلق وقدَّر .. كل أولئك دونما إغفالٍ للمصلحة التي تعود على الإسلام وأهله

بالخير والقوة والمنعة، علماً بأن المصالح الحقيقية للمسلمين، هي في خدمة الإنسان، ولا تعارض بينها وبين الحق، لأنها – دائماً – من الحق وإليه.

أقول هذا بين يدي الحديث عن خلائق أدعياء الهيكل – اليهود في القرآن والسنة؛ لأن مما يستوقف الباحث في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وسيرته المطهرة عموماً، أنه كانت هنالك عناية بالكشف عن حقيقة اليهود – والصهيونية مخلب أزرق ماكر من مخالبهم – في العصر الحاضر في طباعهم وخصالهم وعنصريتهم ودعاواهم الكاذبة وبهتانهم ومكرهم، والقيم التي تحكمهم، سواء أكان في علاقتهم بربهم وأنبيائهم ورسلهم، أم كان في علاقتهم بالناس الآخرين من غير أتباع ملتهم – التي طرأ عليها ما طرأ من التحريف والتبديل –.

وقد كان ذلك على مساحة واسعة تُعين على كشف خبايا هؤلاء الأناسيّ أعداء الله والإنسان، وأبعاد سلوكهم وتصرفاتهم ماذا وراءها، مما يحتاج المسلمون لمعرفته وهم على ثغور المواجهة للتحديات في السلم والحرب. وأصبح ذلك من الثوابت الإيمانية التي لا خيرة للمسلم في التصديق الجازم بها لأنها من وحي السماء، والعمل بها دليل صدق الإيمان.

فالقرآن – مثلاً – لم يعرض لهذه الأمور في مجموعة قليلة من النصوص، ولكنه جاء بفيض زاخر مبارك، يتناول الكليات والجزئيات والوقائع، حتى بلغ الحديث عن بني إسرائيل أن كان من أكثر القضايا نصوصاً بعد العقائد، كل ذلك بوضوح لا تشوبه شائبة لبس أو

غموض، وجزمٍ قاطع لا يقبل الاحتمال. وعلى سبيل المثال نقرأ لتبين الوضوح والجزم اللذين نلمح إليهما ما جاء في سورة النساء بشأن اليهود بدءاً من الآية الثالثة والخمسين بعد المائة؛ ذلكم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٣ – ١٥٨] إلى أن يقول جل شأنه في الآيتين الستين بعد المائة والحادية والستين بعد المائة ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[النساء: ١٦٠، ١٦١].

هكذا جاءت هذه الآيات على مظاهر انحرافهم عن العقيدة الصحيحة وشيء من دعاواهم الكاذبة، وما كان ديدنَهم من قتل الأنبياء بغير حق، كما جاءت على ذكر افترائهم على مريم، وزعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه

السلام؛ والواقع أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم،وكشفت الآيتان الأخيرتان عن أن الله حرَّم على اليهود طيِّبات أُحلّت لهم وذلك بسبب ظلمهم وصدّهم عن سبيل الله كثيراً، وأخذهم الربا وقد حُرِّم عليهم، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وختمت الآية الحادية والستون بالوعيد الشديد بالعذاب الأليم في الآخرة، وذلك بسبب ما اجترحوه من الكفر الظالم البواح الذي ينقض دعاواهم واحدة واحدة، والذي انعكس على تفكيرهم وسلوكهم حتى كانت تلك الصور المقيتة والعياذ بالله. فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ و«من» هنا في «منهم» بيانية وليست للتبعيض، إذ كلهم كذلك إلا من شرح الله صدره للإسلام. كعبد الله بن سلام –رضي الله عنه– وآخرين وهم قلة.

ولما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن نؤمن؟ أجابهم بما دعا إليه قول الله تعالى في الآية السادسة والثلاثين بعد المائة من سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦] فلما ذكر عيسى عليه السلام قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم، فنزل قول الله تعالى في سورة المائدة وذلك في الآية التاسعة والخمسين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩] ثم قال جل شأنه في كشف عن جوانب من سمات اليهود ونقائصهم وما عوقبوا به من اللعن والغضب والمسخ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ

مَّكَانًا وأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠ - ٦٢] أرأيت إلى هذه الدقة في تفصيل ذلك البعض من سماتهم ونقائصهم على صعيدي العقيدة والسلوك، وأن أحبارهم والغون في الضلالة، لا ينهونهم عن قولهم الإثم وأكلهم السحت، وهم في صنيعهم هذا مستحقون للمؤاخذة؟ لبئس ما كانوا يصنعون.

وأود الإشارة هنا إلى أن هذه الآيات الكريمات التي أوردتها هنا، وأخواتها في المواطن الأُخَر من كتاب الله عز وجل: مما سوف نأتي على بيان مدلولاتها - إن شاء الله - بالقدر الذي تدعو إليه الحاجة، تجلية للموضوع قدر المستطاع.. لم أوردها على سبيل الاستيفاء، ولكني أوردتها هنا لتكون أنموذجاً للوضوح في الكلام على بني إسرائيل، والجزم بما أطلق عليهم الكتاب الكريم من أحكام؛ كيما يكون المسلمون على بينة من أمرهم ويدركوا الحقيقة التي يحول إدراكها بينهم وبين الغفلة والقعودِ عن الإعداد، ثم يحملوها واضحة جلية إلى الناس.

وإذا كان الأمر كذلك: فالحقيقة التي لا معدى عنها - والله أعلم - والتي لم تزدها التجارب الآيسة إلا رسوخاً، وهي: أن الخطوة الأولى التي تتقدم ما بعدها مما تقتضيه طبيعة المرحلة التاريخية ومعطياتها من جميع الوجوه على طريق المواجهة بين أمتنا وبين اليهود ومن على شاكلتهم: الإدراك الواعي لما جاء من الثوابت في القرآن الكريم وبيانه من حديث النبي عليه الصلاة والسلام،

وسيرته المطهرة عن خلائقهم، وطبيعة المواجهة بيننا وبينهم على الصعيدين العقدي والحضاري ووضعها موضعَها على صعيدي التصور والتطبيق ذاكرين في كل مرحلة من مراحل الصراع وتزييف الحقائق عندهم: قول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وكم في تاريخنا معهم بدءاً من عصر الرسالة، وحتى يوم الناس هذا، من وقائع تؤكد هذه الحقيقة التي يتجاهلها الكثيرون، وحصدنا من جهلها أو تجاهلها المرَّ والعلقم!!!

وعلى هدي من هذه المقولة، كانت هذه الصفحات التي ولِدت أحاديث، أُذيعت في حينها من إذاعة القرآن الكريم بالرياض، وبدأ ذلك عام ثلاث وأربعمائة وألف للهجرة. ثم دخلها الكثير من الإضافات وبعض التعديل والتنقيح فضلاً عن العناية بمزيد من تخريج النصوص، والحرص على إثبات الآيات القرآنية بأرقامها كما هي بخط المصحف.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الذي تركنا على المحجة البيضاء، في الموالاة والمعاداة، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

محمد أديب الصالح

١٤٢٤/٢/٢٥هـ

الرياض

obeikandl.com